

تفسير ابن كثير

يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد { وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا } أي ما ثم إلا هذه الدار يموت قوم ويعيش آخرون وما ثم معاد ولا قيامة وهذا قوله مشركو العرب المنكرون المعاد وتقوله الفلاسفة الإلهيون منهم وهم ينكرون البداءة والرجعة وتقوله الفلاسفة الدهرية المنكرون للصانع المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تنتهي فكا بروا المعقول وكذبوا المنقول ولهذا قالوا { وما يهلكنا إلا الدهر } قال الله تعالى : { وما لهم بذلك من علم إنهم إلا يظلون } أي يتوهمون ويتخيّلُون فأما الحديث الذي أخرجه صاحبا الصحيح وأبو داود والنسائي من رواية سفيان بن عيينة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة ب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [يقول تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب ليله ونهاره] وفي رواية [لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر] وقد أورده ابن جرير بسياق غريب جدا فقال : حدثنا أبو كريب حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة الليل يهلكنا إنما يقولون الاحاللية أهل كان] : قال مسلم وسل عليه الله صلى النبي عن هـ والنهر وهو الذي يهلكنا يميتنا ويحييّنا فقال الله تعالى في كتابه : { وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر } ويسبون الدهر فقال الله صلى الله عليه وسلم : يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهر] وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن منصور عن شريح بن النعمان عن ابن عيينة مثله ثم روى عن يونس عن ابن وهب عن الزهرى عن أبي سلمة عن أبي هريرة ب قال : [قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى : يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدي الليل والنهر] وأخرجه صاحبا الصحيح والنسائي من حديث يونس بن يزيد به وقال محمد بن إسحاق عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة ب [أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال يقول الله تعالى : استقرضت عبدي فلم يعطني وسبني عبدي يقول وادهراه وأنا الدهر] قال الشافعى وأبو عبيدة وغيرهما من الأئمة في تفسير قوله صلى الله عليه وسلم [لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر] كانت العرب في جاهليتهم إذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة قالوا يا خيبة الدهر فينسبون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونه وإنما فاعلها هو الله تعالى فكان لهم إنما سبوا الله لأنه فاعل ذلك في الحقيقة فلهذا نهى عن سب الدهر بهذا الاعتبار لأن الله تعالى هو الدهر الذي يعنونه ويسندون إليه تلك الأفعال هذا أحسن ما قيل في تفسيره وهو المراد والله أعلم وقد غلط ابن حزم ومن

نحوه من الظاهرة في عدم الدهر من الأسماء الحسنة أخذًا من هذا الحديث .
وقوله تعالى : { وإذا تلّى عليهم آياتنا بینات } أي إذا استدل عليهم وبين لهم الحق
وأن الله تعالى قادر على إعادة الأبدان بعد فنائتها وترفقها { ما كان حجتهم إلا أن قالوا
ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين } أي أحיוهم إن كان ما تقولونه حقا قال الله تعالى : { قل
إيٰ يحييكم ثم يميتكم } أي كما تشاهدون ذلك يخرجكم من العدم إلى الوجود { كيف تكفرون
بإيٰ وكنتم أمواتا فأحياءكم ثم يميتكم ثم يحييكم ؟ } أي الذي قدر على البداية قادر على
الإعادة بطريق الأولى والأخرى { وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه } { ثم
يجمعكم إلى يوم القيمة لا ريب فيه } أي إنما يجمعكم إلى يوم القيمة لا يعيدهم في
الدنيا حتى تقولوا { ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين } { يوم يجمعكم ليوم الجمع } { لأي
يوم أجلت * ليوم الفصل } { وما نؤخره إلا لأجل محدود } وقال هنا { ثم يجمعكم إلى يوم
القيمة لا ريب فيه } أي لا شك فيه { ولكن أكثر الناس لا يعلمون } أي فلهذا ينكرون المعاد
ويستبعدون قيام الأجساد قال الله تعالى : { إنهم يرون بعديا * ونراه قريبا } أي يرون
وقوعه بعيدا والمؤمنون يرون ذلك سهلا قريبا